

الفصل الثالث

توحيد الله^(١)

المبحث الأول: معناه وأقسامه

الله - سبحانه - واحد في ذاته ، ليس له مثيل ولا نظير ، تعالى عن صاحبة والوالد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ (٣)﴾ وهو سبحانه متصف بصفات الكمال ، لا يشبهه شيء من مخلوقاته في صفة من صفاته : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣) وهو وحده الخالق المحيي المميت قيوم السموات والأرض ، ولا يعد مؤمناً من لم يعلم علماً يقينياً بأن الله متفرد بذلك كله .

لا يكفي التوحيد العلمي ، بل لا بد من التوحيد العملي :

إلا أن هذا التوحيد النظري لا يكفي كي يعد المرء مؤمناً ، بل لا بد من اتخاذه وحده إلهاً معبوداً بالتوجه إليه بالعبادة دون سواه .

لأن الخالق الرزاق المنعم المتفضل المحيي المميت المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص هو المستحق أن يعبد دون سواه ، فغيره مربوب مألوه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فكيف يعبد من دون الله تعالى ؟

(١) التوحيد الحق: الاعتقاد بوحداية الله سبحانه في ذاته وصفاته ، ثم عبادته وحده لا شريك له ، وقد حرف هذا المفهوم ، فزعم قوم أن التوحيد يقتضي نفي صفات الله ، لأنه يلزم منه بزعمهم تعدد الواجب ، وزعم بعض الصوفية أن التوحيد الذي أشرنا إليه توحيد العامة ، أما توحيد الخاصة فهو الذي ثبت بالحقائق ، وزعموا أن هناك توحيد خاصة الخاصة ، وكل ذلك ضلال .

(٢) سورة الإخلاص: ١ - ٤ .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

تناقض الذين لا يعبدون الله وحده:

والكفرة من مشركي العرب وكثير غيرهم كانوا يعتقدون بوحدانية الله في الخلق والإيجاد ، وتفردة في الرزق والإحياء والإماتة والملك ، ولكنهم يرفضون عبادته وحده دون غيره ، وقصده دون سواه ، وهذا تناقض شنيع ، فالمتفرد بالخلق والإيجاد هو المستحق للعبادة والخضوع والتعظيم ، وقد أطل القرآن في مناقشة المشركين وبيان تناقضهم في هذا وبين لهم أن الذي أقروا به من تفردة بالخلق والرزق ... الخ يلزمهم بعبادته وإخلاص الدين له .

المبحث الثاني

كلمة التوحيد : معناها ، فضلها ، شروطها

(لا إله إلا الله) كلمة التوحيد ، جمعت الإيمان واحتوته ، وهذه الكلمة عنوان الإسلام وأساسه .

ومعناها: لا معبود يستحق العبادة إلا الله سبحانه ، وقد أخطأ من فسرها بأنه لا موجود إلا الله ، لأن معنى الإله: المعبود ، فيصبح المعنى بناء على قول هؤلاء ، لا معبود موجود إلا الله ، وهذا غير صحيح ؛ لأنه يلزم منه أن كل معبود بحق أو باطل هو الله ، فيكون ما عبده المشركون من شمس وقمر ونجوم ... الخ هو الله ، فكانه قيل: ما عبد على هذا التقدير إلا الله ، وهذا من أبطل الباطل .

فالمعنى الصحيح المتعين هو ما ذكرناه أولاً: أنه لا معبود يستحق العبادة إلا الله وحده .

وقد جاءت النصوص دالة على فضل (لا إله إلا الله) ، وعظيم نفعها ، وقد سبق ذكر النصوص الدالة على أن من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة) . وبهذه الكلمة يعصم العبد ماله ودمه ، ويصبح مسلماً . ولكن ليس المراد بهذه الكلمة مجرد النطق ، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها عند ربه إلا بسبعة شروط:

١- العلم بمعناها: قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) وقال: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وفي الصحيح عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)^(٣).

٢- اليقين: بأن يكون القائل مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً ، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا اليقين لا الظن ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾^(٤) فاشترط في صدق إيمانهم كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلتقى الله بهما عبد غير شاكّ فيهما فيحجب عن الجنة)^(٥).

وفي الصحيح أيضاً أن الرسول ﷺ أرسل أبا هريرة بنعليه قائلاً له: (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)^(٦) فاشترط دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاكّ فيها ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط .

٣- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ، وقد حدثنا القرآن أن الله عذب المكذبين من الأمم الذي رفضوا هذه الكلمة ، واستكبروا عنها: ﴿ إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ^(٧) فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله ، وتكذيبهم من جاء بها .

(١) سورة محمد: ١٩ .

(٢) سورة الزخرف: ٨٦ .

(٣) رواه مسلم: ٥٥/١ . ورقمه: ٢٦ .

(٤) سورة الحجرات: ١٥ .

(٥) رواه مسلم: ٥٧/١ . ورقمه: ٢٧ .

(٦) رواه مسلم: ٦٠/١ . ورقمه: ٣١ .

(٧) سورة الصافات: ٣٥ - ٣٦ .

٤- الانقياد لما دلت عليه، قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾^(١) وقال: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^(٢)، ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسن؛ أي موحد، والعروة الوثقى فسرت (بلا إله إلا الله).

٥- الصدق: وهو أن يقولها صادقاً من قلبه، يواطىء قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فهم يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) . فهم كاذبون في قولهم، يظنون غير ما يعلنون، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)^(٥)، فاشترط في النجاة من النار أن يقولها صادقاً من قلبه.

٦- الإخلاص: وهو تصفية العمل بصلاح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الَّذِينَ خَالِصُونَ﴾^(٦) وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(٧).

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ونفسه)^(٨).

وفي الصحيح عن عتب بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يستغي بذلك وجهه الله عز وجل)^(٩).

(١) سورة الزمر: ٥٤ .

(٢) سورة لقمان: ٢٢ .

(٣) سورة البقرة: ٨ - ٩ .

(٤) رواه البخاري: ٢٢٦/١ . ورقمه: ١٢٨ .

(٥) سورة الزمر: ٣ .

(٦) سورة البينة: ٥ .

(٧) رواه البخاري: ١٩٣/١ . ورقمه: ٩٩ .

(٨) رواه البخاري: ٥١٩/١ . ورقمه: ٤٢٥ .

٧ - المحبة: لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها المتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك ، قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(١) فأخبر أن عباده المؤمنين أشد حبا له ، وذلك لأنهم لم يتخذوا من دونه أندادا ، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه ، وإن خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه ، وموالاته من وإلى الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه الله ورسوله ، واتباع رسول الله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هدايه .

إشارة السلف إلى بعض هذه الشروط:

قال الحسن البصري للفرزدق - الشاعر المعروف - وهو يذفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن: نعم العدة ، لكن لئلا إله إلا الله شروطا ، فإياك وقذف المحصنات.

وقيل للحسن البصري: إن ناسا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال: من قال: لا إله إلا الله فآدى حقها وفرضها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأل: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال: بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك .

(١) سورة البقرة: ١٦٥ .

المبحث الثالث : العبادة

المطلب الأول : تعريف العبادة

التوحيد لا يتحقق إلا بأمرين :

الأول : الشهادة لله بالوحدانية في ذاته وصفاته .

الثاني : قصده وإرادته وحده دون سواء في جميع العبادات .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والصوم ، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته والكتب والرسل والخوف والرجاء

المطلب الثاني

العابد هو الذي يتقلب بين الخوف والرجاء

العبادة الحققة هي التي يتقلب صاحبها بين حب الله ، والخوف منه والتذلل له ، ورجائه والطمع في رحمته .

فالعابد لا حباً ولا خوفاً ولا رجاءً إنما يؤدي حركات جوفاء لا تعني بالنسبة له شيئاً .

والعابد حباً بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء كثيراً ما يقع في الذنوب والمعاصي ، فيزعم أنه يحب الله ويترك العمل ويتجراً على الذنوب ، وقديماً زعم قوم حب الله من غير عمل فاخترهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١) فمن ادعى محبة الله ولم يكن متبعاً لرسوله فهو كاذب .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: « إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ،
ويطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعتة لرسول الله » .

وكذلك الرجاء وحده إذا لم يقترن بخوف الله وخشيته فإن صاحبه يتجرأ
على معاصي الله ، ويأمن مكره: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) .

وكذلك الخوف إذا لم يقترن بالرجاء فإن العابد يسوء ظنه بالله ، ويقتنط
من رحمته ، ويأس من روحه ، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .

فالعبرة الحقة هي التي يكون صاحبها بين الخوف والرجاء ﴿ وَبَرِّجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ ^(٣) ، ﴿ أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ أِنَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ^(٤) وبين الرغبة والرغبة كما قال تعالى في آل زكريا عليهم
السلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ ^(٥) .

فالعبد الصالح تارة يمدد الرجاء والرغبة ، فيكاد يطير شوقاً إلى الله ،
وطوراً يقبضه الخوف والرغبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى ، فهو
دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه خائف من عقوباته ، ملتحج منه إليه ،
عائذ به منه ، راغب فيما لديه .

(١) سورة الأعراف: ٩٩ .

(٢) سورة يوسف: ٨٧ .

(٣) سورة الإسراء: ٥٧ .

(٤) سورة الزمر: ٩ .

(٥) سورة الأنبياء: ٩٠ .

المطلب الثالث: أركان العبادة

للعبادة أركان ثلاثة:

الأول: الإخلاص: بأن يقصد العبد وجه ربه والدار الآخرة ، قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) ^(١) وترك الإخلاص يبطل العبادة .

الثاني: الصدق: ونريد به الصدق في العزيمة ، بأن يبذل العبد جهده في امتثال أمر الله واجتناب نهيه ، والاستعداد للقائه ، وترك العجز ، وترك التكاسل عن طاعة الله .

الثالث: متابعة الرسول ﷺ ، فلا يعبد الله إلا وفق ما شرعه الله ، وما جاء به الرسول ﷺ ، أما أن يعبد الناس ربهم بغير علم فهذه هي البدعة التي حذر منها الرسول ﷺ وذم فاعلها ، وأخبر أن عمله ضلالة . فقال: « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » . وصاحب البدعة عمله مردود عليه غير مقبول منه .

ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(٢) .

لا عبادة إلا بهذه الأركان:

فما لم توجد العزيمة الصادقة لا توجد العبادة ، إذ تصبح العبادة تمنيات وآمالاً لا يكاد يهم المرء بفعلها حتى تخبو إرادته وتنحل . وما لم يوجد الإخلاص ومتابعة الرسول ﷺ فإن العبادة لا يقبلها الله تعالى .

(١) رواه البخاري ومسلم ، وهو حديث مشهور تغني شهرته عن تخريجه . وانظر كتابنا « مقاصد المكلفين » ص: ٥١٩ ، فقد ذكرنا فيه طرقه ومخرجه .

(٢) عزاه ابن الأثير في جامع الأصول: ٢٨٩/١ ، ورقمه: ٧٥ إلى البخاري ومسلم وأبي داود .

المطلب الرابع

أنواع العبادات التي لا يجوز أن يقصد بها غير الله

والعبادات التي لا يجوز أن يقصد ويراد بها غير الله أنواع:

الأول: عبادات اعتقادية:

وهذه أساس العبادات كلها ، وهي أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر ، ويده النفع والضرر ، الذي لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا معبود بحق غيره .

الثاني: عملية قلبية:

والعبادات القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله وحده ، وصرفها لغيره شرك كثيرة ، كالخوف والرجاء ، والرغبة والرغبة ، والخشوع والخشية ، والحب ، والإنابة ، والتوكل والخضوع .

الثالث: قولية:

كالنطق بكلمة التوحيد ؛ إذ لا يكفي اعتقاد معناها ، بل لا بد من النطق بها ، وكالاستعاذة بالله ، والاستعانة والاستغاثة به ، والدعاء له ، وتسبيحه ، وتمجيده ، وتلاوة القرآن .

الرابع: بدنية:

كالصلاة ، والصوم ، والحج ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك .

الخامس: مالية:

كالزكاة ، وأنواع الصدقات ، والكفارات ، والأضحية ، والنفقة .

المبحث الرابع

ما ينافي التوحيد وينافي

الذي ينافي التوحيد ويضاده الشرك ، يقال شركته في الأمر إذا صرت له شريكاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(١) ؛ أي اجعله شريكي فيه .
الشرك نوعان : وفي مصطلح الشريعة الإسلامية الشرك نوعان :

الأول : الشرك الأكبر :

والمشرك شركاً أكبر هو الذي يجعل مع الله رباً آخر كشرك النصارى الذي جعلوه ثالث ثلاثة ، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور ، وحوادث الشر إلى الظلمة ، وكشرك الصابئة الذين ينسبون إلى الكواكب العلوية تدير أمر العالم ، ومثل هؤلاء كثير من عباد القبور الذين يزعمون بأن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت ، فيقضون الحاجات ، ويفرجون الكربات ، وينصرون من دعاهم ، ويحفظون من التجأ إليهم ، ولاذ بحماهم . ومن الشرك الأكبر أن يجعل مع الله إلهاً آخر : ملكاً ، أو رسولاً ، أو ولياً ، أو شمساً ، أو قمراً ، أو حجراً ، أو بشراً ، يعبد كما يعبد الله ، وذلك بدعائه والاستعانة به ، والذبح له والنذر له ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

لا تشترط مساواة الشريك لله حتى يصبح شركاً :

ولا يشترط أن يساوي المشرك في شركه مع الله غيره من كل وجه ، بل يسمى مشركاً في الشرع بإثباته شريكاً لله ، ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً .

فأما حكايته تعالى عن المشركين قولهم : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(١) سورة طه : ٣٢ .

إِذْ تُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ، فهي التسوية في المحبة والخوف والرجاء والطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، لأنهم كانوا يقولون بوحدايته في الخلق والإيجاد.

خطورة هذا الشرك :

الشرك الأكبر في غاية الخطورة فهو: يحبط العمل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣).

وصاحبه خالد مخلد في نار جهنم لا يغفر الله له، ولا يدخله الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤)، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرِيرٌ يَلْعَبُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٥).

أعظم جريمة وأفظع ظلم :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : (أن تدعو الله نداً وهو خلقك) متفق عليه (٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٧)، وقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٨).

(١) سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة الأنعام: ٨٨ .

(٣) سورة الزمر: ٦٥ .

(٤) سورة النساء: ٤٨ .

(٥) سورة المائدة: ٧٢ .

(٦) مشکاة المصابيح: ٢١/١، ورقمه: ٤٩ .

(٧) سورة لقمان: ١٣ .

(٨) سورة النساء: ٤٨ .

النوع الثاني : الشرك الأصغر :

والشرك الأصغر كيسير الرياء ، والتصنع للمخلوق ، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب المنزلة والجاه تارة ، فله من عمله نصيب ، ولغيره منه نصيب ، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، وما لي إلا الله وأنت .

وقد يكون شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده .

وهذا النوع من الشرك : (الشرك الأصغر) وإن كان لا يُخرجُ من الملة فإن صاحبه على خطر عظيم ، ينقص من أجره شيء كثير ، وقد يحبط منه العمل ، ففي الصحيحين عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ^(١) .

وفي صحيح مسلم فيما يرويه الرسول ﷺ عن ربه : (أنا أغني الشركاء عن الشرك ، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) ^(٢) .

وفي المسند أن الرسول ﷺ قال : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : (الرياء) . وزاد البيهقي في شعب الإيمان : (يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً وخيراً) ^(٣) .

وفي النهي عن هذا الشرك نزل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٤) .

(١) رواه البخاري : ٢٨/٦ . ورقمه : ٢٨١ . ورواه مسلم : ١٥١٢/٣ . ورقمه : ١٩٠٤ .

(٢) رواه مسلم . انظر جامع الأصول : ٥٤٥/٤ . ورقمه : ٢٦٥١ .

(٣) مشكاة المصابيح : ٦٨٧/٢ ، ورقمه : ٥٣٣٤ .

(٤) سورة الكهف : ١١٠ .